

كتاب الأضداد وجواهره

تلقيت منذ فترة هدية قيمة جدا من الأستاذ الدكتور خالد ، ابن المحقق الكبير المرحوم محمد أبو الفضل ، والذي يتابع إعادة نشر إنتاج والده الغزير . الهدية عبارة عن كتاب (الأضداد) لصاحبه الأنباري (المتوفى 327 هجرية) الذي كان معجزة في الحفظ ، وفلتة في المانكباب على طلب العلم وتعليمه . ماذا يحتوى الكتاب ؟ يضم مجموعة كبيرة تبلغ (357) لفظا من ألفاظ اللغة العربية التي يشتمل كل منها على معنيين متضادين : مثل كلمة (اشتريت) التي تعنى الحصول على الشئ لقاء ثمنه ، وهذا هو المعنى المتداول ، لكنها تعنى أيضا البيع كما فى قوله تعالى (أولئك الذين اشتروا المضاللة بالهدى) أى باعوا الهدى فى مقابل المضاللة .. ومثل كلمة (الند) فمرة نقول فلان ند فلان إذا كان ضده ، ومرة أخرى نقول : نده إذا كان مثله . ومثل كلمة (عسعس) يقال : عسعس الليل أى أقبل ، ولكنها فى قوله تعالى (والليل إذا عسعس) بمعنى أدبر .. ومثل كلمة (المولى) التي تعنى مرة المنعم الذي أعتق عبده ، ومرة أخرى المنعم عليه الذي تم عتقه .. ومثل الفعل (قسط) ، يقال مرة قسط الرجل إذا عدل ، ولكن قد يقال قسط بمعنى ظلم ، ومن ذلك قوله تعالى (وأما المقاسطون فكانوا لجهنم حطباً ..) ومثل كلمة (القانع) قد يراد بها كما هو مشهور الشخص الراضى بحاله ، الذي لا يستجدى أحدا ، ولكنها قد يقصد منها السائل أو المستجدى ، كما فى قوله تعالى (وأطعموا القانعين) أى الذى يستجدى صراحة ، والذي يعرض حاله ولا يستجدى .. ومن أغرب الألفاظ ، كلمة (وراء) يقصد بها عادة الخلف ، يقال انظر وراءك أى خلفك وهذا هو المتداول ، لكنها فى قوله تعالى (من وراءهم جهنم) أى من أمامهم . وكذلك (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) أى كان أمامهم .. ووصف (السليم) يقال مرة على الشخص السالم من المصائب ، كما يطلق على الملدوغ . ومن ذلك جاء رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن فى الحى سليما أى ملدوغا . وفى رأى أن هذا نوع من إطلاق اللفظ المضاد عليه للتفاؤل بالسلامة . كما نقول فى لهجتنا العامية حاليا " فلان بعافية " ونقصد أنه مريض ، لكننا نطلق عليه ذلك تفاؤلا بالشفاء والعافية . ومن ذلك كلمة (اللحن) اللغوى ، يقال للخطأ لحن وهذا هو المتعارف عليه ، ولكنها تطلق على المعنى المضاد تماما وهو الصواب ، ومن ذلك قوله تعالى عن المنافقين : (ولتعرفنهم فى لحن القول) أى فى صوابه وصحته .. وهكذا يعضى كتاب الأضداد ، مقدما عشرات الألفاظ سواء كانت أوصافا أو أفعالا أو حروفا ، موضحا المعانى المتضادة لكل منها ، ومؤكدا ذلك بالأمثلة والأدلة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والشعر العربى ، وكلام العرب ، بما لا يدع مجالا للشك فى صحة ما يقدمه للقارئ . ماذا نستفيد من ذلك ؟ أن اللغة العربية بحر عميق ، لا ينبغى أن يأتى شخص لم يتعمق فيها جيدا لكى يقدم لنا رأيه السريع أو تفسيره الخاص ، مؤكدا أنه الصواب ولا شئ غيره .

